الصحافة العراقية

نشأتها وتطورها

منير بكر التكريتي
معيد في قسم الصحافة

«١٨٦٩ ـ ١٩٢١»

قبل المضى في الكلام على تاريخ الصحافة العراقية في فترة البحث ، يجمل بنا ان نتحدث عن :

تاريخ الطباعة في العراق :ـ

تأخر ظهور الفن المطبعى في البلاد العربية بصورة عامة والعراق بصورة خاصة، وذلك للعزلة التى فرضتها الدولة العثمانية على البلاد العربية في كل ما هو حديث، خشية ان تهب الشعوب العربية الرازحة تحت سيطرتهم مطالبة بالحرية والحياة الكريمة ، فتأخرت البلاد ثقافيا وبقيت خالية من الطباعة مدة طويلة رغم انتشارها في معظم الاقطار الاجنبية • وللبنان الفضل الاول في ادخال المطابع فقد اسست مطبعة «دير قزحيا»[1] عام ١٦١٠م فكانت اول مطبعة عربية في بلاد الضاد • [2]

اما العراق :ـ

فقد دخلته في منتصف القرن التاسع عشر مطبعة حجرية اسست في «لواء كربلاء» عام ١٨٥٦م استقدمت من ايران في عهد «محمد رشيد باشا» وتعتبر اول مطبعة عرفها العراق • وفيها طبعت طائفة من رحلات «ابى الثناء شهاب الدين محمود الآلوسى» مفتى بغداد • وفي عام ١٨٦١م اسست مطبعة «التبريزى» الحجرية المجلوبة من ايران ايضا، اسسها احد كبار الفرس يدعى «الميرزا عباس» وكانت تفى بحاجة السكان لقلة عدد القراء والكتاب آنذاك •

---

(١) « قزح » سريانية الاصل وتعني « الكنز » و « حيا » تعني « الحياة » ويحتمل ان يكون معناها « القسيس الحي » . راجع : انيس فريحة ـ اسماء المدن والقرى بيروت عام ١٩٥٦ .

(٢) راجع : رفائيل بطي ـ مجلة منير الاثير ـ العدد الثالث ص ٢٣ بغداد ١٩٤٥ .

وفي الموصل انتشرت المطابع على ايدى (المبشرين الدومنيكان) الذين استوطنوها عام ١٨٥٦م فقد جلبوا معهم مطبعة حجرية ثم ابتاعوا عام ١٨٥٩م مطبعة كاملة، وفي عام ١٨٦٠م وهبت جمعية مدارس الشرق بباريس مبالغ طائلة وحروفا متنوعة للمبشرين (الدومنيكان)، واول كتاب طبعته هو « رياضية درب الصليب عام١٨٦١م»[٣] . استمرت مطابع الدومنيكان في النشر الا ان السلطات العثمانية، اثناء الحرب العالمية الاولى، صادرتها بدعوى تبعيتها لدولة معادية وضمت الى مطبعة الولاية . وعندما ولى (مدحت باشا) أنشأ (مطبعة الولاية) ـ الزوراء ـ التى جلبها من فرنسا، وعلى اثر افتتاحها اغلقت مطبعة التبريزى الحجرية ابوابها، كما احضر مع (مطبعة الولاية) (مطبعة حجرية) سميت (بمطبعة الفيلق) ـ المطبعة العسكرية ـ تقوم بطبع مطبوعات الجيش المختلفة، وهى مطبوعات سرية لا يطلع عليها الا كبار الجيش . وقد ادت مطبعة الولاية عملها باشراف مديرها (احمد مدحت افندى)، الذى اصطحبه مدحت باشا، حيث بدأت بطبع جريدة «الزوراء» الجريدة الرسمية .

اخذت هذه المطبعة في النمو بعد عزل «مدحت باشا» عام ١٨٧٢م . وفي عام ١٨٩٣م «اصبح فيها تسع طابعات، واحدة منها تدار بالبخار واثنتان تداران باليد واربع طابعات حجرية وآلة واحدة لتحسين الاقمشة واخرى لعمل المظاريف، وقد اصدرت في هذه الفترة «سالنامة» أى الولاية»[٤] .

وقد اسست «مطبعة الولاية» في الموصل عام ١٨٧٥م وقامت بطبع الاوراق الرسمية والتقاويم التركية المعروفة «موصل سالنامه سي» وطبع جريدة «الموصل»، ولم تكن هذه المطبعة مقصورة على طبع المطبوعات الحكومية وانما كانت تطبع كل ما يقدمه اليها الاهالى من مطبوعات .

وهنا لابد لنا ان نذكر ان هذه المطابع تفتح وسرعان ماتغلق، لقلة عدد من يشترى مطبوعاتها حتى ان مطبعة الولاية نفسها كادت تتوقف عن العمل لولا ان استأجرها احد الافراد لحسابه الخاص[٥] .

ومجمل القول: ان الطباعة في العهد العثمانى كانت متأخرة . ولما جاءت الحرب العالمية الاولى اصيبت الطباعة بنكسة، لقلة الورق فاضطرت بعض

---

(٣) راجع : دكتور خليل صابات ـ تاريخ الطباعة في الشرق العربي ـ ص مصر ١٩٥٨ ، ورفائيل بطي ـ مجلة منير الاثير ـ العدد السادس١٩٤٥

(٤) م . ن ص ٢٨٥

(٥) م . ن ص ٢٩٥

المطابع الى اغلاق ابوابها واستمرت مطابع اخرى تشتغل يوما وتتعطل اياما حتى انتهت الحرب • الا ان الثورة ــ ثورة العشرين ــ ما لبثت ان اندلعت وهب العراقيون يدافعون عن حريتهم المسلوبة وارضهم المحتلة، فكان للثورات العراقية اثر في تأخر حركة الاصلاح الطباعي بعض الوقت •

وعندما تأسست الحكومة الاهلية عام ١٩٢١م عكف العراقيون على بناء دولتهم الجديدة، وكان من الطبيعي ان تساهم الطباعة في هذه الحركة • فأخذت المطابع تزداد واستأنفت المطابع القديمة عملها لاحياء تراثنا الادبي والثقافي وما زالت في ازدياد مضطرد الى يومنا هذا •

الصحافة قبل ظهور المطبعة

مرت الصحافة بادوار خلال العصور المختلفة حتى ظهرت بشكلها الحاضر بظهور الطباعة • والصحافة قديمة قدم الانسان تنطق بلسانه وتعبر عن آرائه واتجاهاته • فهي مرآة تنعكس عليها مشاعر الجماعة وآراؤها وخواطرها بوسائل تعبيرية تختلف من مجتمع الى آخر ومن زمان الى زمان •

فللعراقيين القدماء «كالبابليين» صحف تسجل فيها الحوادث يوميا • والتاريخ يحدثنا ان الملك «حمورابي» كان يذيع اوامره على رعيته للحضور الى بابل للاشتراك في الاحتفالات الموسمية المعينة، فقد دلت التحريات الاثرية في نينوى ــ قرب الموصل ــ وما وجدته في مكتبة «آشور بانيبال» على سجلات مفصلة ومنظمة بحسب تواريخها وحوادثها وبالاخص حروب الملوك وفتوحاتهم •

كما اكتشفت مديرية الآثار العراقية في اطلال «عقرقوف» ــ قرب بغداد ــ طقماً ــ حجرا ــ مقسما الى اثني عشر جدولا باسماء الاشهر البابلية مبينا ما يتحتم على الشعب عمله وذلك اشبه بما تقوم به صحف اليوم من بلاغات ومراسيم صيانة الامن وسلامة الدولة •

وقد اتخذت الاقوام «الاشورية» صورة اخرى لهذه الصحافة فقد كانوا يرقمون حوادث انتصاراتهم على الحجر والطين وبجانبها يصورون بالالوان صورا للاسرى فيها مشاهد تصور التنكيل بهم ، وكانوا يعرضونها في شوارعهم العامة وقصورهم الخاصة، لذلك يعتبر «الاشوريون» اول من اوجد الصحافة المصورة[٦] •

---

(٦) راجع : رفائيل بطي ــ مجلة منير الاثير ــ العدد الثالث ص ٢٢ عام ٩٤٥

وقد اجتازت الصحافة اطوارا قبل اختراع الطباعة منها :ـ

طور الصحافة الشفوية

حيث كانت الاخبار تلقى مشافهة ولنا من تاريخ الادب العربى في مختلف ادواره دليل على الصحافة الشفوية، فالرواة والشعراء والخطباء انما كانوا صحفيين، لهم منزلتهم في مجتمعاتهم وتأثيرهم فيها .

فالشاعر والخطيب كانا لسانها الناطق وقلبها النابض وليس غريبا ان تقيم القبائل قديما الولائم والافراح بخطيب يظهر وشاعر ينبغ فكانوا كصحف حزبية يدافعون عن القبيلة ويندون بخصومها ويشيدون بفرسانها ايام الحروب، فهم اشبه بصحفنا اليوم . فحسان بن ثابت يعتبر صحيفة الاسلام والاخطل صحيفة بنى امية والكميت بن زيد صحيفة آل البيت والطرماح صحيفة الخوارج وهلم جراً . وبعد طور المشافهة يأتى :

«طور الصحافة الخطية»

فقد مضى الناس يستنسخون هذه الاخبار . وقد شاعت صناعة النسخ في بلاد الرافدين في العصور الوسطى ولا سيما في البصرة والكوفة وبغداد . وقد ازدهرت الوراقة والنسخ ومارسها «نبغاء لمع اسمهم كأبى حيان التوحيدى فهو لم يتفوق في نسخ الصحف فحسب بل كان كاتبا مبدعا يلى الجاحظ ان لم نقل يفوقه في اسلوبه الصحافي[٧] » . فكان هؤلاء صحفي عصرهم . وليس من المغالاة في شىء اذا قلنا ان «الجاحظ» يعتبر شيخ صحافة زمانه .

يقول الدكتور عبد اللطيف حمزة : «ولك ان تتصور معى رجلا من كتاب القرن الثالث الهجرى كالجاحظ ـ ما اجدره ان يكون اول صحفى ممتاز لو عاش في عصر كالذى نعيش فيه ! بل ... كان بالفعل ذلك الصحفى الناجح الذى لم ينقصه يومئذ غير الاسم . لذلك نظرت الى الادب الجاحظى كله على انه صحافة كاملة لذلك العصر[٨] .

استمرت الصحف الخطية الى ان اخترعت المطبعة فكان ظهور الصحف مقرونا بظهور المطبعة فغلبت الصحف المطبوعة على الصحف الخطية .

واول جريدة ظهرت في عالم النشر بعد ذيوع الطباعة «سميت ـ غازيتا

---

(٧) رفائيل بطي ـ مجلة منير الاثير ـ العدد الثالث ص٢٢عام ١٩٤٥ .

(٨) الدكتور عبداللطيف حمزة ـ مستقبل الصحافة ـ ج١ ص ١٤ عام١٩٦١ .

ـ وذلك في عام ١٦١٠م في مدينة البندقية[٩]» ومنها انتشرت الى اوربا • يقول المفكر الفرنسي ـ الفيكونت دافيتل ـ : «ان الجريدة في نشأتها الاولى عند بدأ اختراع الطباعة كانت تطبع في ورقة واحدة في كل اربع وعشرين ساعة حاوية كل الاخبار الهامة، وكان نشر الاخبار هو الفكرة الاولى لانشاء الصحف ثم تطورت الصحافة حتى اصبحت الجريدة هي الصلة بين الزعماء والشعب والوسيلة لنشر الدعايات والافكار الجديدة ...[١٠]» •

اما الشرق العربي فقد عرف الصحافة الحديثة على يد الحملة الفرنسية على مصر عام ١٧٩٨م اذ جلبوا معهم مطبعة كبيرة لطبع المنشورات التي كانوا يوزعونها ليثبتوا بها لاهل مصر حسن نيتهم في حملتهم هذه وصاروا يطبعون جريدتيهم المشهورتين « بريد مصر» و «العشيرة المصرية» اثناءاقامتهم من «١٧٩٨ ـ ١٨٠١[١١]» • ثم نظموا طبع جريدة عربية هي «جريدة التنبيه» التي تعد اول صحيفة في العالم العربي على رأي بعضهم، الا ان «الدكتور ابراهيم عبده» اثبت انها لم تصدر وان صدر المرسوم بانشائها[١٢] •

لكن المسلم به ان جريدة [١٣] « الوقائع المصرية » هي اول جريدة عربية عامة صدرت • انشأها « محمد علي الكبير » عام ١٨٣٨ م ونظم صدورها بعده « اسماعيل باشا » • وكان يحررها فطاحل ابناء مصر امثال «محمدعبده» و « سعد زغلول » • ويقول الدكتور عبداللطيف حمزه : « وان كان مؤرخو الصحافة المصرية يذكرون ان هناك صحيفة مصرية سبقت » « الوقائع المصرية» الى الظهور وهي صحيفة « جورنال الخديوى » • غير انه تبين للوالي «محمد علي » بعد ذلك ان هذه الصحيفة لاتخدم اغراضه بما فيه الكفاية ، ولذلك فكر في انشاء « الوقائع المصرية » لخدمة هذه الاغراض ، ولكي توزع منها

---

(٩) رفائيل بطي ـ مجلة منير الاثير ـ العدد الثالث ـ ص٢٢ عام ١٩٤٥ .

(١٠) راجع : عبدالله حسين ـ الصحافة والصحف ـ ط ١ ص ١٨ مصر عام ١٩٤٨ .

(١١) ١٩٤٨محاضرات الدكتور عبد اللطيف حمزة بقسم الصحافة ـ جامعة بغداد ١٩٦٥

(١٢) راجع : رفائيل بطي ـ الصحافة في العراق ـ ص ٩ ، مجلة منير الاثير العدد الثالث ص ٢٣ عام ١٩٤٥ .

(١٣) كان اسم الصحيفة سابقا « غازيتا » لكن « احمد فارس الشدياق » غيره فاطلق عليه اسم « صحيفة » اما اسم « مجلة » فقد اصطلح عليه « الشيخ ابراهيم اليازجي » . راجع هامش ص ١٥ من كتاب « الادب العربي » لناصر الحاني بغداد عام ١٩٤٤ .

نسخ كثيرة تكفي اعضاء الاسرة المالكة وموظفي الحكومة وطلبة المدارس في الداخل والخارج ، وبعض افراد الشعب المصرى بالاضافة الى ذلك [١٤] » .

اما العـــراق : ــ

فقد شهد ميلاد صحافته على يد الوالي « مدحت باشا » الذي انشـأ اول جريدة في العراق المسماة « الزوراء » عام ١٨٦٩م لا لغرض ثقافي قصده وانما لنشر آرائه الاصلاحية و « الفرمانات السلطانية » . واحقاقا للحق انها نبهت الشعب الى ان هناك صحافة وهناك رقابة ، وهناك شكاوى فضلا عن الاخبار الاخرى .

وقد ظلت الجريدة الرسمية لولاية بغداد الى ان احتل الجيش البريطاني بغداد عام ١٩١٧ فاحتجبت ــ الا ان رزوق عيسى يذكر في مجلة « النجـم » الموصلية في عددها السابع :ــ

« ورد في بعض اسـفار رحالي الافـرنج ومنهم الانكليز تلميحات واشارات الى ان اول صحيفة ظهرت في بغـداد كانت تعرف باسم « جورنال العراق » انشأها « داود باشا الكرجي » عندما تسنم منصب الـولاية عام ١٨١٦م ، وكانت تطبع بمطبعة حجرية . بيد ان الكتاب المحقق لايليق به ان يجزم بصـحة ما طالعه في كتب الرحالة الاجانب ما لم يعثر على نسـخة من تلك الصحيفة . ومن المحتمل ان لفظة « جورنال » يراد بها سجل العراق الرسمي « كالسالنامه » وليس جريدة بالمعنى المعروف اليوم » . [١٥] ولو سلمنا بهذا الرأى لوجدنا لهذه الجريدة اثرا او نسخة منها في دور الكتب في بغداد وما جاورها من البلدان ، كما ان المطابع الحجرية لم تدخل العراق كما قلنا سابقا الا في عام ١٨٥٦م لهذا تبقى اليد في انشاء اول جريدة رسمية في العراق « لمدحت باشا » باصدار الزوراء . وبعدها كثرت الصحف الرسمية فقد تلت « الزوراء » « الموصل » المؤسسة عام ١٨٨٥م وتبعتها « البصرة » عام ١٨٩٥م . وهذه الصحف استمرت تنشر مرة كل اسبوع باللغتين العربية والتركية حتى توارت عن الانظار على اثر الاحتلال البريطاني للعراق عـام ١٩١٧ م .

---

(١٤) محاضرات الدكتور عبداللطيف حمزة بقسم الصحافة بجامعة بغـداد عام ١٩٦٥م ــ ١٩٦٦ م .

(١٥) رزوق عيسى ــ تاريخ الصحافة فى العراق ــ مجلة النجم الموصلية ص٢٤٩ عـام ١٩٣٤ .

١ ــ الدور الاول « ١٨٦٩م ــ ١٩٠٨م » :ــ

وقد مرت الصحافة العراقية منذ نشوئها عام ١٨٦٩ م حتى بوادر الاستقلال عام ١٩٢١ م بادوار ثلاثة يتميز كل دور عن الذي يليه بميزات مختلفة ، تجلت فيها اختلاف سياسة الهيئة الحاكمة واتجاهاتها فانعكس هذا الاختلاف على الصحف عامة من حيث اهدافها ، وسياستها العامة ، وتقدمها حينا ، وتأخرها ثانية • والصحافة مثلت الادوار المختلفة التي مرت بها ضمن واقعها السياسي والفكرى ، والدور الذى لعبته باعتباره جزءا من التاريخ السياسي للعراق وهذه الادوار هي :ـ

١ ـ الدور الاول:

ويبدأ منذ نشوء الصحافة عام ١٨٦٩م الى اعلان الدستور العثماني عام ١٩٠٨م •

٢ ـ الدور الثاني:

ويبدأ من اعلان الدستور عام ١٩٠٨م الى احتلال القوات البريطانية البصرة في كانون الاول من عام ١٩١٤م •

٣ ـ الدور الثالث:

ويبدأ ببدء الاحتلال البريطاني للعراق عام ١٩١٤م حتى بوادر الاستقلال عام ١٩٢١م •

وسنتكلم عن هذه الادوار بشيء من الايجاز •

١ ـ الدور الاول «١٨٦٩ ـ ١٩٠٨» :ـ

يعتبر « مدحت باشا » اول من وضع الحجر الاساس في خلق الصحافة العراقية بتاسيسه جريدته الرسمية « الزوراء » عام ١٨٦٩م • وكان العراق قبل هذه الفترة محروما من الصحافة • فقد كانت تصل اليه الصحف من عاصمة السلطنة استانبول « حيث عرفت السلطنة العثمانية الصحافة اول الامر عام ١٨٣١م عندما اصدر «السلطان محمود» امره بتاسيس جريدة «تقويم وقائع» التركية، فكانت الجريدة الوحيدة التى تصل العراق وكان العراقيون يعرفون التركية قراءة وكتابة اكثر من لغتهم العربية لانها لغة الدولة الرسمية ولغة التعليم اما الجرائد العربية فكانت معدومة انذاك ولعل جريدة « الجوائب » « لاحمد فارس الشدياق » التى ظهرت في الاستانة عام ١٨٦٠م اكثرها انتشارا في العراق فيما بعد •

وعندما صدرت «الزوراء» الرسمية سعى مؤسسها لايجاد مجتمع عراقي يضاهي المجتمعات المتقدمة، كما هو معروف عنه، متخذا من «الزوراء» وسيلة لافهام العراقيين ان هناك حكومة وانظمة، وقوانين مما هيأ الاذهان الى الاستقرار، والقضاء على عوامل التذمر، وشجع الناس على نقد الولاة والحكام ، اذ كان لهذه الجريدة الحرية الكافية في نشر مطالب الشعب وشكاواهم، وانتقاد اعمال الحكومة، ومأموريها مطالبة بالاصلاح . الا ان هذه الحال لم تدم طويلا فقد عزل «مدحت باشا» عام ١٨٧٢م واعقبه ولاة كثيرون عمدوا الى طمس معالم الاعمال الاصلاحية التى قام بها . فتغيرت خطة «الزوراء» وفق اهواء الولاة، ودخلت معمعة السياسة، واتخذت لكل وال لبوسا يتفق ووجهته التى يرومها، وجعلت المصانعة ديدنها، واصبحت جريدة تركية ليس فيها ما يهم الناس، وبالاخص عندما تسلم «عبد الحميد» سلطنة الدولة العثمانية «١٨٧٦ـ١٩٠٩م» ضيق على الصحافة في انحاء الدولة العثمانية وخشى سوء عاقبتها وسار ولاته في بقية الاقطار العربية على نهجه، فاصبحت الصحافة في العراق « شأنها في ذلك شأن بلاد الامبراطورية العثمانية الاخرى،، معدومة الوجود تقريبا تحت ظل حكومة السلطان عبد الحميد.»

يقول «فيليب دى طرازى» : «كانت الصحافة مطلقة الحرية تنشر الانباء على علاتها .... وتنتقد اعمال الحكومة ومامورياها حتى انها لم تشفق على السلطان نفسه ... فكانت تنشر المقالات الضافية عن مواقع الخلل ... بل انها كتبت صريحا عن مقتل الوزراء في دار الخلافة ... غير أن السلطان « عبد الحميد » لم يكن يهمه من امور السلطنه الا صيانة حياته . خشى سوء العاقبة من دولة الجرائد وصولة كابها . فاصدر أمره بتقييد حريتها وضيق عليها المراقبة ...»[١٨] . عاش العراق وصحافته فترة اضطهاد، وطورد كل كاتب عراقي حر، لهذا كانت الصحافة الرسمية التى تمثلها الصحف العراقية الثلاث في هذه الفترة، الزوراء، والموصل المؤسسة عام ١٨٨٥م، والبصرة المؤسسة عام ١٨٩٥م، اضافة الى مجلتين هما «اكليل الورد» المؤسسة عام ١٩٠٢م، و «زهيرة بغداد» المؤسسة عام

---

(١٦) راجع رفائيل بطي ـ الصحافة في العراق ـ ص ١٣

(١٧) عبدالله الفياض ـ الثورة العراقية ـ ص ٥٧ .

(١٨) فيليب دى طرازى ـ تاريخ الصحافة العربية ـ ج ٢ ص ٧

١٩٠٥م[١٩] اقول الصحف الثلاث الرسمية صحف مداهنة وتملق فما كانت تنشر سوى مايطيب السلطان وولاته من الفاظ التفخيم والتعظيم رغم مظالمهم جميعا وسوء اداراتهم • وكانت الصفحات الاولى من هذه الصحف تبدأ بالدعاء للسلطان، كما يقول سليمان فيضي، بهذه العبارات : ــ

«اطال الله عمر مولانا امير المؤمنين، وخليفة رسول رب العالمين، خادم الحرمين الشريفين، وخاقان البرين والبحرين، السلطان بن السلطان، والخاقان بن الخاقان عبد الحميد خان ادام الله عزه وأعز جنده واسعد عهده ونشر على بلاد الاعداء راية نصره••• الخ»[٢٠] •

ثم يقول : «ولم تكن الحكومة لتسنح امتيازا لاية صحيفة اخرى مهما كان نوعها غير انه كانت تصدر «جريدة الاقبال» لصاحبها «عبد الباسط الانس»، ولعلها كانت الصحيفة الوحيدة التى كانت تصدر في البلاد العربية، وقد استطاع صاحبها ان يحتفظ بامتيازها بكثرة دعائه للسلطان والاشادة بذكره»[٢١] •

وقد منع الولاة دخول الصحف من الخارج سواء أكانت معارضة ام مؤيدة، ومن وجد بحوزته صحيفة من هذه الصحف الممنوعة كان مصيره السجن او النفى الى الخارج او الى مناطق نائية من العرق ابقاء على عزلة العراقيين التى ارادها العثمانيون •

حدثنى الاديب العراقى ناجى القشطينى[٢٢] : «ان زميله احمد الشواف لاحظ ابنه ــ عبد الله ــ ذات يوم يدخل غرفته ويسدها سدا محكما على غير عادته ــ لينعم بقراءة الغازيتا ــ فما كان من الاب الا ان داهم الغرفة، فوجد ابنه يقرأ ــ الغازيتا ــ فأرعد وازبد وانهال على ابنه بالضرب المبرح قائلا له : «لقد هجمت بيتى بادخالك الغازيتا» فاذا بالابن المسكين يسرع الى احراقها خشية لعيون والرقباء» •

وفي هذا الباب يحدثنا «سليمان فيضي» ويقول :ــ « ان الشيخ مبارك الصباح، امير الكويت، كان مشتركا في جريدة «الخلافة» التى اصدرها في

---

(١٩) راجع : عبدالرزاق الحسني ــ تاريخ الصحافة العراقية ــ ج١ص ١٧ النجف عام ١٩٣٥ .

(٢٠) سليمان فيضى ــ فى غمرة النضال ــ ص ٤٩

(٢١) م . ن ص ٥٠

(٢٢) شاعر واديب عراقي معروف من شعراء ثورة العشرين

(٢٣) سليمان فيضى ــ في غمرة النضال ــ ص ٥٠

لندن بعض احرار الترك، وعندما وشى جاسوس بوكيله في البصرة «عبد العزيز سالم البدر» بانه دفع اشتراك هذه الجريدة، كبست داره، وتحققوا من دفاتره، وحكموا عليه بالنفى الى ديار بكر عشر سنوات»[٢٣] .

وهكذا استهتر السلطان وولاته باقدار الصحف .

يقول «سليمان البستانى» :ـ

«فكم من جريدة الغيت او اوقفت لزمن محدود او غير محدود ... بل كم من مرة فاجأ الجريدة امر بتعطيلها ، وظل صاحبها يبحث اشهرا فلا يعلم لذلك سببا ...» [٢٤] .

كثير هم الصحفيون الذين سجنوا، وعذبوا لاستعمالهم كلمات اتت عفو البديهة وفيض الخاطر انسجاما مع ما كتبوا «فكم من مرة انقضت الصواعق على رأس الصحافي لجهله ان هذه الكلمة او تلك قد انتزعت بحكم الاستبداد من معجم الالفاظ الكتابية .... كالثورة والانصاف والحرية، وان عبارة او جملة وجب حذفها من ابواب الانشاء كقولك، العدل اساس الملك، والظلم مرتعه وخيم، والحرية منتهى غايات الامم»[٢٥] .

ومجمل القول : ان الصحافة في هذا الدور كانت لسان السلطان واعوانه، به تشيد، وبلسانه تنطق، فقد عزفت عن الشعب، بل تخلت عنه نهائيا، ولم تعر لرغباته اية اهمية . وان خير وصف لهذه الحالة ما اثبته الدكتور عبد اللطيف حمزة :

« ... على الصحافة ان تتوخى التعبير عن هذه الشعوب ... اما اذا تخلت الصحافة عن هذا الواجب ـ الواجب المقدس ـ آراء الشعوب ـ فانها في هذه الحالة تخلى الطريق امام الحاكم المستبد فيبطش بها وبامته ويستعبدهما تماما»[٢٦] .

وهذا ماحدث بالفعل للصحافة والشعب، فقد ظل كلاهما ميتا بصورة حي، وظلت الصحافة بالذات اسيرة السلطان، تنشر وفق مايوعز، لهذا ليس من التعسف في شيء اذا ما اطلقنا على هذا الدور دور الاستبداد .

---

(٢٤) سليمان البستاني ـ عبرة وذكرى ـ ص ٢٧ مصر عام ١٩٠٨

(٢٥) م . ن ص ٢٨

(٢٦) الدكتور عبداللطيف حمزة ـ مستقبل الصحافة ـ ج١ ص ٢٣٠ القاهرة عام ١٩٦١ .

٢ ـ الدور الثاني « ١٩٠٨م ـ ١٩١٤م » :ـ

٢ ـ الدور الثاني (١٩٠٨ ـ ١٩١٤) :ـ

لم يكد ينبثق فجر الحرية في الدولة العثمانية عام ١٩٠٨م اثر اعلان الدستور حتى قام فريق من ادباء العراق ومفكريه، واخذوا ينشرون الصحف على اختلاف نزعاتها، وانطلقت الاقلام من عقالها، وخرج المفكرون يستنشقون عبير الحرية • وأول من أقدم على ذلك «مراد بك» شقيق «محمود شوكة باشا» ـ قائد الانقلاب ـ فأصدر في العاصمة العراقية جريدة بأسم «بغداد» عام ١٩٠٨م •

وتعتبر هذه الجريدة باكورة الجرائد الشعبية السياسية، ثم حذا حذوه « عبدالجبار باشا الخياط » فأصدر في مستهل كانون الثانى من عام ١٩٠٩م جريدة «العراق»، ثم قام بعده «عبد اللطيف ثنيان» فأنشأ جريدة «الرقيب» في الثامن والعشرين من كانون الثانى عام ١٩٠٩م [٢٧] •

ثم توالى اصدار الجرائد الشعبية، وأخذت تكتب بصراحة وبحرية لاحد لها •

يقول رفائيل بطي : «اخذت الصحف تكتب ما كان يعز كتابته او التطرق اليه في العهد المباد فلبست الصحافة ثوبا زاهيا من المقالات الحرة والاقوال الصحيحة»[٢٨] •

وقد خفت الرقابة على الصحف، وتمتع الناس وبخاصة الصحفيين منهم بنوع من الحرية لم يألفوها من قبل، ولا سيما في الفترة الواقعة بين عامى «١٩٠٨ ـ ١٩٠٩» تلك الفترة التى ساد فيها التبلبل السياسى وظهور بوادر الوعى القومى في العراق • اذ اخذت تهز وجدان الشعب العراقى نزعتان : نزعة الرابطة الاسلامية، والاتجاه نحو الدولة العثمانية، والدفاع عن استقلالها، ونزعة ثانية تدعو الى الاستقلال ضمن اطار الدولة العثمانية • نتيجة لهذا خاضت الصحف في هذه الموضوعات، واتجهت الى الجدل السياسى والحزبى مع نقص الخبرة في الصحافة والسياسة معا، فظهرت «في انهرها مهاترات شخصية يندى لها الجبين»[٢٩] •

يقول محرر جريدة العرب البغدادية : «كانت محتويات تلك الصحف

---

(٢٧) راجع : رزوق عيسى ـ تاريخ الصحافة العراقية ـ مجلة الحرية البغدادية المجلد الاول ص ٤٢٢

(٢٨) رفائيل بطي ـ الصحافة في العراق ـ ص ٢٠

(٢٩) م • ن ص ٢٠

الانتقاد بلهجة شديدة قارصة تدل على تهور وانتقام وسوء ادب وقد يقحم في عباراتها السب والشتم»[٣٠] .

هذه الصحافة الشعبية ظهرت على ايدى نفر من الصحفيين استغلوا الحرية الممنوحة لهم، فهبوا يتراشقون بالكلام البذىء، والتهم الرخيصة، وكان المفروض في هؤلاء الصحفيين ان يحتضنوا هذا المولود الجديد ـ الصحافة الشعبية ـ لخدمة مجتمعهم وتوجيهه الى سبيل الاصلاح لان الصحفيين زعماء امتهم لايتاجرون بمقدرات بلادهم .

وكم هو خليق بالاشفاق على ذلك الشعب ـ العراقى ـ الذى دنس فضيلة صحافته هدف مادى او غرض شخصى، «اذ المفروض في الصحافة ان تكون مرآة للرأي العام الذى عاشت في احضانه مرتبطة بمصيره»[٣١] .

فالصحفي ، كما هو معروف في اي زمان ومكان ، تقع عليه مسؤولية الامانة، والدقة، وتحرى الحقائق والهاب شعور المواطنين للمطالبة بحق اغتصبه غاصب او استهتر به مستهتر، لكن شيئا من هذا لم يكن له وجود في تلك الصحف، بل من المستحيل ان يكون هذا، لان الولاة كانوا يعتمدون على ضروب مختلفة من الفساد والافساد الصحفى وشراء الضمائر وقلب للحقائق، بل كم من مرة حرضت الدولة اعوانها، من ذوى الاقلام المأجورة، على الصحف التى تجاهر بالحق كما حدث للمرحوم «عبد اللطيف ثنيان» .

بعدت الصحافة عن المجتمع وانزلقت في متاهات لاحد لها . وانصافا للواقع يتحتم علينا ان تذكر في هذا الباب ثلاثا من الصحف هي : الرقيب، والرياض، وصدى بابل، عرفت واجبها وادت الامانة الصحفية على اتم وجه فقد كانت تعالج موضوعات ذات اهمية . فجريدة «صدى بابل» نشرت في عددها الثالث عشر الصادر في الخامس من تشرين الثانى عام ١٩٠٩م مقالا طالبت فيه باستخدام اللغة العربية في الدوائر الرسمية جاء فيه :

«كثيرا ما لهجت جرائدنا الوطنية وغيرها من الصحف والمجلات بطلب اتخاذ لغتنا العربية رسمية في ديارنا هذه . وقد افاض ابناء العرب في هذا البحث بما لديهم من الدليل والتعبير عن خواطرهم .... فأقول ولا اخشى معترضا انه قد يستحيل في جميع الاصقاع ـ يقصد العراق ـ ان يرى بين ذلك الشعب الغفير من يحسن كلمة من التركية ماخلا افرادا في المدن يعدون على

---

(٣٠) جريدة العرب البغدادية عدد « ٤٤ » في ٢١ ايلول ١٩١٧

(٣١) الدكتور عبداللطيف حمزه ـ الصحافة والمجتمع ـ ص ٤ القاهرة عام ١٩٦٣

الاصابع» ثم ختمت المقال بقولها : «فقد بلغنا من الخدمة ما هو علينا • فرض واجب ضربة لازب » • كما نشرت في العدد السابع عشر عام ١٩٠٩ مقالا اخر طالبت فيه باستعمال اللغة العربية في المرافعات وقالت : «ان الحكومة التركية ان اصرت على استعمال اللغة التركية فانها تقيم قائمة اولاد العرب عليها» •

ثم نشرت في العدد الخامس والسبعين قصيدة عنوانها «الندبة العراقية» تعاتب فيها نواب العراق في «مجلس المبعوثان» على خمولهم، وجبنهم في مطالبتهم بحقوق العراقيين جاء فيها :ـ

فقولوا لنواب العراق اما لكم تشاغلتم عنا باعلى المراتب
يشق علينا جبنكم وخمولكم ولو كنتم نسل الكرام الاطايب(٣٢)

اما جريدة «الرقيب» : ـ فقد عرفت بالجرأة والشعور بالواجب وكان صاحبها «عبد اللطيف ثنيان» شاهرا قلمه، فما كان حسنا اطراه وما كان خطأ انتقده • جاء في عددها «١١٥» مقال بعنوان «كتاب لانظار والى الولاية المحترم» تحدثت فيه عن الاصلاح واستتباب الامن في بغداد مخاطبة «ناظم باشا» : ـ «ياحضرة الناظم المحترم تجاسرنا على مقامك السامى قبل هذا بكتابين على اعمدة جريدة الرقيب ••• وقد جئناك اليوم بثالث كما سنعقبه برابع وخامس الى اخره • فنأمل منكم الاصغاء التام لان هذا لسان الامة وهى ترجمان افكارها • ايها الناظم المحترم ندعوك اليوم لاجراء امر مهم لايوازيه امر غيره الا وهو الامن لان الامن لايقاس به امر مهما كان عظيما •••• فأرنا همتك وانشر فينا عدلك • وفقك الله لما يصلح البلاد ويريح العباد اجمعين»(٣٣) •

وقد كلفت هذه الصراحة صاحب الرقيب وصدى بابل ثمنا غاليا، اذ حرضت الحكومة اصحاب الاقلام المأجورة والصحف المرتزقة على مهاجمتها مما اضطر صاحب الرقيب الى تعطيل جريدته، وفر من خصمه الوالى واعوانه الى الشام • اما صاحب صدى بابل فوقف يقارعهم الحجة بالحجة ويندد بخصومه • فقد كتب مقالا بعنوان «لو ذات سوار لطمتنى» جاء فيه :
« كل يعلم السبب الذى الجأ حاتما في ارساله هذا المثل • ونحن نصدر به عبارتنا هذه الى «مرقعة الهندى»(٣٤) بسعى لو ذو علم ناظرنى •

---

(٣٢) جريدة صدى بابل عدد « ٧٥ » ك ٢ عام ١٩١١م
(٣٣) جريدة الرقيب عدد « ١١٥ » عام ١٩٠٩م

لقد عثرت بطريق الصدفة على الجزء من تلك السرقعة، ووقفت على تطاوله وخروجه عن حدود الادب وسنة الكمال ... وتعلقه بأذيال اسمال السفاهة . ولم اعجب لشأنه لان، لكل امرىء من دهره ماتعودا، فذكرني حاله قول الاسكندر «لموتحة»[٣٥] عند رجوعه عن النساء اللاتى برزن لمحاربته حيث قال : هذا جيش ان غلبناه فما لنا فيه من فخر، وان غلبنا، كما غالبنا حضرة صاحب المرقعة بذيىء الكلام، فذلك فضيحة الدهر . فهنيئا لك ايها السادر في خيلائه قد غلبتنى فانك بالسبب احذق لانى، وحق حرمة ادبك ، لم اتعود ذلك منذ دببت حتى شببت ، فكيف اتعوده وقد وخطنى الشيب، فأن السفه ليس من شأنى ولا سلكت له صراطا . فاكرر التهانى لحضرتك انك بالسبب احذق . كيف لااهنئك وحضرتك لم تزل متنافسا بهذا الخلق الذميم ... فو الحق يقال : لقد حزت في ميدانه قصب السق وكل واحد يمكنه ان يقول : ـ

ان عادت العقرب عدنا لها وكانت النعل لها حاضرة

على ان ادابى لاتسوغ لى ذلك وعند هذا امسك القلم عن الجرى في هذا المكان فتكون فيه خاتمة الكلام والسلام»[٣٦] .

فقد أساءت الصحف استعمال معنى الحرية وفي هذا يقول محرر جريدة العرب :

«ظن الناس ان عهد الحرية اقبل وان صباح النور انبثق، فأخذ الكتاب والشعراء ... يدبجون المقالات ... حتى انهم تعدوا طورهم واجروا اقلامهم في ابحاث حادوا عن سواء السبيل وخاضوا في مسائل تأباها الاداب

---

(٣٤) جريدة عراقية خاصمت صاحب « صدى بابل »

(٣٥) احد قواد الاسكندر المقدوني .

(٣٦) جريدة صدى بابل عدد « ٣٣ » في ١٩ اذار عام ١٩١٠ .
جاء فى مجمع الامثال للميداني ج٢ ص ١٧٤ ـ تحقيق محمد محي الدين ـ المطبوع بمصر عام ١٩٥٩ أن المثل « لوذات سوار لطمتني » لم يقله حاتم وانما قال : « لو غير ذات سوار لطمتني » كما ورد في ج٢ص ٢٠٢ من المصدر نفسه ، ويروى الاصمعي المثل على هذا الوجه ، وذلك ان حاتما الطائي مر ببلاد « عنزه » في بعض الاشهر الحرم فناداه اسير لهم : ياابا سفانه اكلني الاسار والقمل فقال : ويحك ! اسات اذ نوهت باسمي في غير بلاد قومي ، فساوم القوم به ، ثم قال اطلقوه واجعلوا يدى في القيد مكانه ، ففعلوا ، فجاءته امرأه ببعير ليفصده فقام فنحره ، فلطمت وجهه فقال : « لو غير ذات سوار لطمتني » . يعني : اني لااقتص من النساء ، ففدى نفسه فداءا عظيما .

وتنبذها الاديان وتمقتها الحرية الصادقة نفسها»[٣٧] . مر على هذه الفوضى القلمية حوالى خمس سنوات والصحف الوطنية تنبه الى الخطر الجسيم الذى يكمن وراء هذه المهاترات . فقد كتبت جريدة «صدى بابل» مقالا بعنوان «تقدم بلادنا وتأخرها» جاء فيه :

«...ان من اكبر دواعى تأخرنا هو الانشقاق الداخلى ... فاننا والحق يقال لانهد ولا نمل من ان نرشق بسهام القذف واللطعن من هو اقرب منا من الاخوان، ولا ننفك معهم عن تصويبها نحو غيرنا . وهكذا لم تزل كل امة تتحامل على اختها، ويقذف قوم بنبال التنديد غيرهم . ويطعن اخرون ... حتى كثر الشقاق واتسع الخرق وتفاقم الخطب . فكيف يرجى ـ ناشدتكم الله ـ التقدم والنجاح لقوم هذا دأبهم وديدنهم ؟! ... وكيف نرجو اذا تقدمنا ونحن امة منشقة تحارب نفسها بنفسها ؟! فهذه هى حالة الخراب التام والدمار العميم فيا للشقاء . وللداهية والمصيبة ...»

وكتبت ايضا مقالا بعنوان «الحرية والاصلاح» جاء فيه : ـ
«يا ابناء الوطن ليس الدستور الا سوادا على بياض واوراقا مطبوعة لايجدى الملة في شيء ان لم تقم هى نفسها بتنعزيز اركانه واخراجه الى حيز العمل به وتخدم وطنها خدمة صادق حر شفيق على شعبه واهله . وليعلم بنو قومنا اننا لو بقينا على ما نحن عليه ... لم تقم لنا بعدئذ قائمة ولم نحظ بشيء من ذلك ابدا حتى تتجرع كأس المنية ونشرب حمياها ونخسر بالصفقة ونخيب بالنهضة في حاضرنا ومستقبلنا [٣٨] .

الا ان الصحفيين لم ينفع معهم نصح او ارشاد، وقد استمروا في طيشهم «مما جعل الرجعيين يقفون على فريسة باردة، فخرجوا من اوجارهم، وطفقوا ينددون بحرية الصحافة التى خلعها الدستور على الاقلام غير المدربة والصحافيين الهوج »[٣٩] .

ولا بد لنا ان نرجع سبب هذه الكارثة الى كثرة الجرائد والمجلات

---

(٣٦) جريدة العرب عدد « ٤٤ » في ٢١ ايلول عام ١٩١٧م .
(٣٧) م . ن
(٣٨) جريدة صدى بابل العدد التاسع في ٨ تشرين اول عام ١٩٠٩م ، العدد الخاص من نفس العام .
(٣٩) رفائيل بطي ـ الصحافة في العراق ـ ص ٢١

٣ ـ الدور الثالث « ١٩١٤م ـ ١٩٢١م » :ـ

التى صدرت عند اعلان الدستور، واكثرها كانت هزيلة • وهذه الجرائد التى صدرت هى :ـ

١ ـ بغداد ٢ ـ العراق ٣ ـ الرقيب ٤ ـ الارشاد
٥ الانقلاب ٦ ـ التعاون ٧ ـ الروضة ٨ ـ الحقيقة
٩ ـ صدى بابل ١٠ ـ الزهور ١١ ـ بين النهرين
١٢ الرياض ١٣ ـ مصباح الشرق ١٤ ـ سبيل الرشاد

وغيرها (٤٠) • فقد بلغت الاشباع فصار يتولى التحرير فيها اى شخص بغض النظر عن ثقافته ومؤهلاته، ولا يتحاشى اى شخص في اصدار اية صحيفة • الا ان الاتراك رأوا في هذه الصحف خطرا يهدد كيان دولتهم، فحظروا نشر الجرائد ما لم تكن مرخصة من الاستانة او بامر خاص من الوالى، فضاق الخناق على الصحافة حتى اصبحت الحرية خبرا من الاخبار • وقبل اعلان الحرب العالمية الاولى زاد الاتحاديون في مطاردة كتاب الصحافة واصحابها، فمنهم من قتل او نفى او منع من اصدار الجرائد، واصبح كل موظف تركى اشد استبدادا من « عبد الحميد » الذى ضرب المثل بحكمه المطلق • وهكذا انتهى هذا الدور وقد جنت منه الصحافة والصحافيون انواعا من الحرية والاضطهاد في وقت معا •

٣ ـ الدور الثالث «١٩١٤ ـ ١٩٢١» :ـ

قبيل الحرب العالمية الاولى زاد الاتحاديون امعانا في ملاحقة الصحف ومحرريها، بل ادى بهم الحقد على الصحافة العراقية ان قتلوا وسجنوا وعذبوا اصحفيين الاحرار لمعارضة اكثر الصحف العراقية الحزب الحاكم «الاتحاد والترقي» لاسيما صحف البصرة التى كانت تتمتع بنوع من الحصانة، مكتسبة من هيبة زعيم المعارضة هناك «السيد طالب باشا النقيب» •

يقول رفائيل بطي : « وجدت الحكومة ان صحف البصرة تتمتع بنوع من الحصانة، مكتسبة من هيبة زعيم المعارضة هناك ـ طالب باشا النقيب ـ وتأثيره على السلطة مما يجرىء هذه الجرائد على الامعان في النقد والمقاومة »(٤١) ، مما الجأ وزارة الداخلية في الاستانة الى ابلاغ والى

---

(٤٠) راجع ـ فيليب دي طرازى ـ تاريخ الصحافة العربية ج ٤ ص ٨٠بيروت، عام ١٩٣٣م

(٤١) رفائيل بطي ـ الصحافة في العراق ـ ص ٣٨

البصرة في اخريات عام ١٩١٣م «باقفال جميع الصحف الموجودة والامساك عن منح امتياز اية جريدة جديدة »(٤٢) .

ويخيل الينا ان حكومة الاستانة خشيت الروح القومى الفياض الذى طغى في الصحف لئلا يشجع ذلك بقية الصحف الاخرى في بقيـة انحـاء المملكة العثمانية للجهر بقوميتها والدعوة الى استقلالها . فعمدوا الى كم الافواه «ومنعوا الناس عن الجهر بالقول، وحرموهم الصراحة في الكلام، واصبحت خبـرا من الاخبـار، فاخـذ النـاس يبتعـدون عـن هـذا الميدان ... »(٤٣) اما القلة من الصحفيين فقد صـدوا امام هذا الارهاب ، متمسكين بعقيدتهم لقومية مطالبين باستقلالهم .

وقد انتهز الحاكمون المنتمون الى حزب «الاتحاد والتـرقى» اعلان الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤م فـرصة للايقاع بالصحفيين المعـارضين والتنكيل بهم . فعطلوا الصحف ولاحقوا الصحفيين المعارضين مـن ذوى النزعة القومية العربية ، فنفوا «داود صليوا» صاحب جريدة « صدى بابل » و «الاب انستاس مارى الكرملى» صاحب «مجلة لغة العرب» و «ابراهيم صالح شكر» صاحب «مجلة الرياحين» . وطاردت السلطات العثمانيـة البقية الباقية بحجة ظروف الحرب الاسـتثنائية ، لذلك اقفلت جميع الصحف الشعبية الا جريدة واحدة هى «الزهور» لصاحبها «محمد رشيد الصفار» لموالاتها للحكومة، وتأييدها سياسة الحاكمين حتى نهاية الحرب العالميـة الاولى واحتلال الموصل بعد ان غير اسم جريدته فأسماها «دعوة الحق» . غير ان العثمانيين رأوا ابان الحرب ان يستعينوا بالصحافة في بث الدعايـة لهم والتشنيع بخصومهم الانكليز، فأنشأوا لهذا الغرض جريدة يوميـة في بغداد في الثالث والعشرين من تموز عام ١٩١٥م (٤٤) اسـموها « صـدى الاسلام» تنشر باللغتين العربية والتركية، وعني حزب «الاتحاد والترقى» بها عناية فائقة فاختار لها خيرة كتاب الصحافة العراقين مثل : ابراهيم حلمى العمر، والشاعر خيري الهنداوى، والشاعر عبد الرحمن البناء، والشاعـر جميل صدقى الزهاوى .

وقد نشرت ـصدى الاسلامـ الفتاوى العديدة لرجال الـدين في

---

(٤٢) المصدر السابق ص ٣٩

(٤٣) عبدالرزاق الحسني ـ تاريخ الصحافة العراقية ـ ج ١ ص ٩

(٤٤) راجع ـ عبدالرزاق الحسني ـ تاريخ الصحافة العراقية ج ١ ص ٥٥

تحريض المسلمين العراقيين على الثورة على اعداء الاسلام ـ الانكليز ـ .

ولما احتل الانكليز البصرة في غرة كانون اول من عام ١٩١٤م، اتجهوا الى الصحافة كعادتهم ليوطدوا بها سلطانهم ويرسخوا سيادتهم . فكان اول عمل قاموا به الاستيلاء على «مطبعة الولاية» الرسمية بالبصرة، ثم ابتياع المطابع الاهلية ليخلوا لهم الجو في النشر والاعلام، وتوجيه الرأي العام العراقي . فاخذوا ينشرون نشرة يومية بادى الامر باللغتين العربية والانكليزية تذيع للناس انباء المعارك الدائرة في جهات القتال، ثم اصبحت فيما بعد جريدة يومية اطلق عليها اسم «الاوقات البصرية» .

ظهر عددها الاول في عام ١٩١٥م باربع لغات، العربية، والتركية، والفارسية ، والانكليزية ، وكانت خير اداة للاعلان عن سياستهم . وقد لعب «المستر جون فلبى» السياسى الانكليزي المعروف دورا هاما في تحريرها . ولم تكتف القوات البريطانية بهذه الصحيفة ، بل اصدرت مجلة اسبوعية مصورة اسموها «العراق في زمن الحرب» الى جانب جريدتهم المشهورة . وقد ضمت هذه المجلة صورا للوقائع الحربية مع صور للشخصيات العراقية الموالية لسياسة الاحتلال البريطانى لاسيما شيوخ القبائل (٤٥) .

هذا ما كان من امر الصحافة في البصرة .

اما في بغداد : فقد اهتم الانكليز بامر الصحافة، فلما دخلوها منتصرين عام ١٩١٧م استطاعوا ان ينشئوا جريدة « العرب » في الرابع من تمو زفي نفس العام . وكان الهدف من اصدارها محاولة فرض الرأي الاستعمارى على جماهير العراقيين تحت شعارهم المعروف «جئنا محررين لا فاتحين» . وقد عهد الى «مستر جون فلبى» ادارة سياستها وتحريرها .

اما هيئة تحريرها فقد تولاها الادباء العراقيون «من الاصدقاء المقربين للحكومة الانكليزية » كما تقول « مسز بل » (٤٦) وهؤلاء الاصدقاء المقربين هم نخبة من رجال العلم والادب في العراق اغرتهم السلطات المحتلة بانها جريدتهم لبث الفكرة العربية، وخدمة اللغة العربية، وتثقيف الشعب . وقد اجزلت لهم الاجور العالية . والغريب في الامر ان اكثر هؤلاء المحررين كانوا ينشرون مقالاتهم باسماء مستعارة وللقارىء اللبيب ان يدرك المغزى من هذا :

---

(٤٥) راجع : رفائيل بطي ـ الصحافة في العراق ـ ص ٤٣

(٤٦) راجع م . ن

ثم توالت الصحف والمجلات بالظهور مثل «الاوقات العراقية» ظهرت في غرة كانون الثانى من عام ١٩١٨م، وجريدة «دار السلام» في الثالث والعشرين من حزيران عام ١٩١٨م، ومجلة «دار السلام» في السادس من تشرين الاول عام ١٩١٨م، ومجلة «النادى العلمى» في الخامس عشر من كانون الثانى عام ١٩١٩م، وجريدة «العراق» في مستهل حزيران من عام ١٩٢٠م • وهذه الجرائد والمجلات جميعها كانت تمالىء القوات المحتلة والسير في ركابها •

يقول عبد الرزاق الحسنى : «لما استولى الانكليز على العراق اخذوا ينشرون في البلاد بعض الصحف التى تروج مبادئهم وتحسن الى الناس سياستهم (٤٧) •

ولا بد لنا ان نذكر هنا ان الظروف السياسية، مدة الاحتلال البريطانى للعراق، عملت على كبت الشعور الوطنى بمساعدة هذه الجرائد الموالية، فقد استغلت الناحية القومية لبث روح الحقد والكراهية على الاتراك ، وكانت لطخة سوداء في جبين الصحافة العراقية في هذه الفترة ان تقود الرأى العام العراقى ايد هى ابعد ماتكون عن الامانة الوطنية • غير ان المخلصين من ابناء العراق شعروا بالمرارة لارتماء اكثر الصحفين في احضان المستعمر، فنشأ نتيجة لهذا تياران متصارعان : هما التيار الصحفى الموالى للقوات المحتلة، والتيار الثانى : هو التيار القومى الذى يروم الخير لامته ولشعبه • وقد عانى هذا التيار الاخير من التعسف والاضطهاد من السلطات المحتلة غير انه صبر باصرار وعناد وكانت ثمرة صبره ايقاظ الشعور الوطنى للقيام بثورة العشرين، فانتعشت الصحافة عند قيام الثورة، ولعبت دورها الفعال بفضل جهود المجاهدين العراقين الذين استطاعوا قبل اعلان الثورة بالتمويه على السلطات المحتلة للحصول على امتياز لاصدار مجلة شهرية، في مظهرها «مجلة تاريخية ادبية مصورة» وفي حقيقتها سياسية لبث الروح القومى • وهذه المجلة هى «مجلة اللسان» عام ١٩١٩م •

وقد لاقت رواجا منقطع النظير لعنايتها بالقضية العربية بصورة عامة، والقضية العراقية بصورة خاصة وكذلك قظت الاحزاب السرية العراقية قبيل ثورة العشرين الى اهمية الصحف في ألاعداد الثورة• يقول رفائيل بطى: «قرر فرع حزب العهد العراقى بالاشتراك مع بقية الاحزاب الوطنية ، وهم يتدابرون

(٤٧) عبدالرزاق الحسنى ـ تاريخ الصحافة العراقية ـ ج ١ ص ٩

الخطط للثورة على المحتل الغاصب، اصدارجريدة تتابع حركة الايقاظ، والحوا على حكومة الاحتلال في طلب الاذن بجريدة باسم «الاستقلال» فمنحتهم امتيازها بعد تردد ومماطلة في الثامن والعشرين من ايلول عام ١٩٢٠م » (٤٨) • وقد عملت هذه الجريدة بفضل صاحبها « عبد الغفور البدرى»، احد اعضاء حزب العهد، وجهوده لتهيأة الجو للثورة في انحاء العراق كافة •

أما مركز قيادة الثورة في النجف : فقد اتخذ الثوار من جريدة «الفرات» المؤسسة في الخامس من ايلول عام ١٩٢٠م وسيلة لبث روح التآلف، وتشجيع الثوار، وشرح تعاليم الثورة، ونشر مساوىء الاحتلال • فقدموا طلبا للقائمقام المنصب من قبل الثوار باصدار جريدة في النجف باسم «الاستقلال» فوافق على ذلك، فصدرت في الثامن عشر من ايلول عام ١٩٢٠م طافحة بالمقالات وآراء المجتهدين من رجال الدين وفتاواهم • وان تاريخ الكفاح العراقى ليسجل لهذه الجريدة صفحة ناصعة رغم قصر عمرها • وهذه الصحف جميعا توارت عن الانظار بعد ان قضى على الثورة • الا ان الصحافة لاقت بعد هذا فترة من الجمود •

ولما تألفت الحكومة الاهلية بانتخاب فيصل ملكا على العراق عام ١٩٢١م اخذت الصحف تنشر في طول البلاد وعرضها، واقبل الكتاب ورجال الادب على اصدار الصحف فانتعشت الصحافة في هذه الفترة وبدت الحاجة اليها ماسة لاداء واجبها القومى •

يقول رافائيل بطى : «سارعت الحكومة في منح الاذون بها ••• وطفقت الاقلام تدعو الى استقبال الصفحة الجديدة من حياة العراق بعودة الملك الى اهله لشرعيين (٤٩) •

وقد صدرت جرائد عديدة نذكر منها : —

١ — الفلاح «في ٢٠ حزيران عام ١٩٢١م» لعبد اللطيف الفلاحى •
٢ — دجلة «في ٢٥ حزيران عام ١٩٢١م» لداود السعدى •
٣ — الرافدان « في ٢٦ ايلول عام ١٩٢١م » لسامى خوندة (٥٠) •

بيد ان هذه الجرائد التي ظهرت في هذا العهد الملكي ، كان معظمها قصير العمر للعداء المستحكم بين الحكام والصحفيين الاحرار • فكانت

---

(٤٨) رفائيل بطي — الصحافة العراقية — ص ٥٨
(٤٩) م • ن
(٥٠) راجع : عبدالرزاق الحسني — تاريخ الصحافة العراقية — ج١ص٦٢